مادة الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

د. ميسون محمد عبد الواحد

المحاضرة الثالثة

عنوان المحاضرة: (موقف الاسلام من الشعر والشعراء)

ثانياً- موقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من الشعر والشعراء:

والمتتبع لأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الشعر والشعراء سيجدها لا تخرج عن الأهداف والغايات التي دعت إليها الآيات الكريمة ، وكيف تخرج عنها والرسول عليه السلام إنما بعث بالقرآن . ولم تكن أحاديثه وأفعاله إلا مصدقة لكلام الله الكريم ومُفصلة لما أجمله كلام رب العالمين .

ولقد كان الرسول الكريم يقول عندما يستمع إلى الرائع من الشعر أو النثر" إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا " وكان يقول لحسان بن ثابت شاعر الإسلام :" نافح عنا ، وروح القدس يؤيدك " ، " أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس " ، " أهجهم وجبريل معك " وقال لكعب بن مالك : " أهجهم – أي الكفار– فو الذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل ".

وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول : " ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم " لقد وجه الرسول الكريم الشعراء الذين أسلموا وجهة جديدة ، وجعل للشعر وظيفة نبيلة هي المنافحة عن الحق والرد على أعدائه والوقوف في طريق أولئك الذين أطلقوا ألسنتهم افتراءً على الله ورسوله والمسلمين.

وقد كان من عادة الشعراء العرب أن يبدأوا قصائدهم بالغزل وروَت كتب السيرة أن كعب بن زهير بن أبي سُلْمى لما قدم على النبي . صلى الله عليه وسلم . تائبًا قال قصيدته التي جاء فيها:

بانتْ سعادُ فَقَلْبِي اليومَ مَتْبُولُ مُتيَّمٌ إثْرَها لم يُجْزَ مَكْبُولُ

وما سعادُ غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا إلاَّ أَغَنُّ غَضَيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

تَجْلُو عوارِضَ ذي ظَلَمٍ إذا كأنَّه مُنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ

ويقال: إن النبي . صلى الله عليه وسلم . أُعجب بها وألبسه بُرْدته.

وأما الحديث الذي جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في ذم الشعر: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير له من أن يمتلئ شعرا). رواه البخاري في باب الأدب، ومسلم في باب الشعر.

فقد حمله الشافعي –رحمه الله– على الشعر المشتمل على الفحش. وهذا أحد الأجوبة. وهناك جواب ثان: وهو أن أكثر العلماء حملوا الوعيد على ما إذا غَلَبَ عليه الشعر، وملك نفسه؛ حتى اشتغل به عن القرآن والفقه في الدين ونحوهما؛ ولذلك ذكر الامتلاء.

وقد قال الرسول : (إنما الشعر كلام مؤلف ، فما وافق الحق فهو حسن ، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه) أما الحديث الذي تناوله الرواة على انه تعبير معاد للشعر ونصه(لئن يمتليء جوف أحدكم قيحا ودما خير من أن يمتليء شعرا) فان الحديث لم يرو كاملا وتكملته (هجيت به) وفي هذه التكملة يتضح جليا موقف الرسول من الشعر فهو لم ينه عنه ، إنما نهى عن لون معين وعن موضوعات خاصة تقوم على هجائه الذي يعني هجاء الدعوة ومحاربة الدين .

فمن الطبيعي أن يصرف الإسلام الشعراء عن شعر العصبية وإثارة البغضاء والتفرقة بين أبناء الشعب الواحد كما نهى عن الشعر الماجن البعيد عن الفضيلة.

وإذاً يمكن أن نقول: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكن يكره الشعر؛ بل كان يحب أن يستمع إليه، ويطلب من أصحابه أن ينشدوه شيئاً منه، فقد ورد أنه قال لحسان بن ثابت –رضي الله عنه–: (أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية؛ فإن الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته) فأنشده قصيدة للأعشى.

ثالثا– موقف الصحابة –رضي الله عنهم– من الشعر والشعراء:

ولقد فهم الصحابة موقف الإسلام من الشعر كما علمهم القرآن ورسول الإسلام فكان منهم من قال الشعر وأجاد ، ومنهم بالإضافة إلى حسان بن ثابت شاعر الرسول وكعب بن ملك وعبد الله بن رواحة والإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

والواقع أن الشعر كما قالت أم المؤمنين عائشة –رضي الله تعالى عنها–: الشعر كلام.. فحسنه حسن، ورديئه رديء، فخذ الحسن، واترك الرديء. وروي أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– مر بحسان بن ثابت وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله، فقال – منكراً عليه–: أرغاء كرغاء البعير؟!. فقال حسان: دعني عنك يا عمر.. إنك لتعلم لقد كُنْتُ أُنْشِدُ في هذا المسجد من هو خير منك، فلا يُغَيِّرُ على ذلك. فقال عمر: صَدَقْتَ.

ويروى أن عمر بن الخطاب قال: (الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه). وقال أيضاً: (من خير صناعات العرب، الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته، يستنزل بها الكريم، ويستعطف بها اللئيم).

ولقد كان شعراء المدينة الأنصار من أشهر من وقف مع الرسول ، وكان حسان وكعب يردان على شعراء المهاجمين ويدافعان عن الدين الإسلامي بمثل الطريقة القديمة في الفخر والمدح والهجاء أي بذكر الوقائع والأيام والماثر والأنساب ويُعيرانهم بالمثالب ، أما عبد الله بن رواحة فكان يُعيّرهم بالكفر وعبادة الأوثان ، فكان شعر حسان وكعب شديدا على الأعداء قبل إسلامهم ، وكان شعر عبد الله بن رواحة سهلا عليهم ، فلما أسلموا ، وفقهوا الدين تغيرت وجهات نظرهم فأصبح أشد القول عليهم شعر ابن رواحة.

ويرى بعض الدارسين أنه قد ظهر بعض اللين والضعف في المستوى الفني للشعر الإسلامي ولهذا الضعف أسباب عديدة منها:

١– انشغال الناس بالقران وبلاغته وسمو كلماته .

٢– وشعور المسلمين بالعجز عن مجارات القرآن ، سواء بالشكل أو المضمون .

٣–وهذا دفعهم إلى أن ينصرفوا عن قول الشعر ، وهذا ما يذكره ابن خلدون في مقدمته ، حيث يذكر ما معناه:(أن العرب انصرفوا عن قول الشعر أول الإسلام لانشغالهم بأمور الدين والنبوة ولاندهاشهم بأسلوب القران ونظمه ، كما إن المسلمين الذين ملأ الإيمان قلوبهم تحرجوا من النظم خشية أن ينالهم غضب الله (الشعراء يتبعهم الغاوون) فاثر بعض الشعراء الصمت مثل لبيد والنابغة الجعدي ، وبعضهم ضعف

شعره ، لأنه ابتعد عن الهجاء المقذع والفخر الفاحش والمديح الكاذب ، والإسلام قد أبطل الدوافع الجاهلية التي تنشط الشعر ونهى عنها).

وقد عدد الزمخشري الأغراض والمعاني التي يمكن للشاعر المسلم أن يقول فيها: كأن يقول في توحيد الله والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم- والصحابة وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني.